آراء الطنطاوي
في
الكُتْاب والكتب والمجلات

جمع وإعداد
د . محمد بن عبداللّه الهبدان
عضو رابطة علماء المسلمين

مؤسسة شبكة نور الإسلام
twww.islamlight.ne

أولاً : آراؤه في بعض الكتاب :

ـ الدكتور الغمراوي

بكتابه (النقد التحليلي) الذي خاطب فيه طه حسين بلسانه، ونقض عليه بنيانه بمعوله، ورجع بالحق إلى الينابيع التي استقى منها بالباطل، وقدم للكتاب أمير البيان الذي كان سفيراً دائماً في أوروبا، سفيراً للعرب وللمسلمين ينبههم ، ويدافع عنهم، ينفق من جيبه لا من خزانة دولة ولا من صندوق جمعية، يعيش عيش الكفاف، يقرأ ويكتب، والذي كتبه الأمير شكيب أرسلان بقلمه وخطه يعدل ما كتبه عشرة من أكبر كتاب العصر، وله فوق ذلك شعر جيد. (ذكريات– ا ص 259)

الزركلي

- ترك كتاباً من أعظم ما ألّف في هذا العصر وهو (الأعلام). (ذكريات–ا ص 229)

ـ شوقي

- كان شعره ديوان العرب في هذا العصر. (ذكريات–ا ص 227)

- نصحت ونحن مختلفون داراً ولكن كلنا في الهم شرق
- ويجمعنا إذا اختلفت بلاد بيان غير مختلف ونطق

- ففي القتلى لأجيال حياة وفي الأسرى فدىً لهمو وعتق

الدكتور صلاح الدين المنجد

- وآخر ما صدر له (معجم ما ألف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) وهو كتاب جليل. وكذلك حين استخرج فتاوى السيد رشيد وأفردها بالطبع (ذكريات-ا ص 206)

الشيخ سليم المسوتي

- وكان يوماً في رمضان، وكان مجلسه قريباً من باب الدار، وكانت مائدة الإفطار قد أعدت، ودنا المغرب، فقرع الباب فقير يسأل ويقسم أن أهله في البيت صيام، وليس عندهم شيء يؤكل، فتلفت فلم يجد حوله أحداً من أهله، فتناول طبقاً وبعض الخبز، فوضعها جانباً، وقال له : احمل هذا كله. فحمله فذهب به، ودخل النساء فلم يجدن الطعام، فسخطن وصحن عليه، وتكلمن كلاماً شديداً، وهو صامت.

وضرب المدفع، وأذن المؤذن من جامع التوبة، فإذا الباب يقرع، وإذا بألوان الطعام من الحار والبارد، والحلو والحامض، تدخل عليه. وإذا القصة أن سعيد باشا شمدين، أحد كبار الوجهاء، كان قد دعا ضيوفاً فلم يحضروا، فأمر بحمل الطعام كله، إلى دار الشيخ، فقال أرأيتن مكافأة الصدقة؟. (ذكريات-ا ص 193)

الشيخ نصر الهوريني

صاحب كتاب (المطالع النصرية) أوثق وأوسع كتاب أعرفه في قواعد الكتابة، وكل من كتب فيها بعده، أخذ منه ، ونقل عنه. (ذكريات-ا ص 160)

ابن العميد ، والصاحب، والقاضي الفاضل ، وابن الأثير

- وهؤلاء هم الكتاب الذين أولع بهم أساتذة الأدب في المدارس والذين وضعوا لهم المناهج، وحددوا له الموضوعات، وما هؤلاء بأعظم كُتّاب العربية، وما أسلوب ابن العميد، والصاحب، والقاضي الفاضل، وابن الأثير صاحب (المثل السائر)، بالأسلوب الذي يصلح قدوة للطلاب، فضلاً عن مقامات الحريري، التي كانت تعدّ يوماً النموذج الأكمل، للأسلوب الأجمل!

هذا على ما فيها من براعة في اللعب بالألفاظ كلعب (السحرة) في (السيرك)، وعلى أن كتاب (المثل السائر) أجود كتب البلاغة، لولا غلاظة صاحبه واستشهاده الممل برسائله وكتاباته، ولولا طول لسانه وشتمه الناس بلا سبب ...... (ذكريات- 2 ص 27)

أكبر كتاب العربية خمسة:

- الجاحظ، لا أستطيع أن أنفيه منهم، ولا أبعده عنهم، وأبو حيان التوحيدي أول قصصي مبتكر في أدبنا، والغزالي حين يحلل النفس البشرية في (الإحياء)، وابن عربي في (الفتوحات) إذا قسناه بمقياس الأدب لا بمقياس الدين، وابن خلدون في المقدمة هؤلاء كالأنهار الكبار. (ذكريات-2 ص 27)

هؤلاء الخمسة وأمثالهم (إن كان لهم أمثال) هم كالأنهار الكبار، أما السواقي الصافية كالعين الخضراء فكثيرة، أمثل لها بمثل واحد هو (ابن السماك)، وأمثل لكلامه بكلمة واحدة قالها في رثاء داود الطائي، قال: (يا داود، ما أعجب شأنك بين أهل زمانك، أهنت نفسك وإنما تريد إكرامها، وأتعبتها وإنما تريد راحتها، أجشبت المطعم وإنما تريد طيبه، وأخشنت الملبس وإنما تريد لينه، ثم أمتّ نفسك قبل أن تموت، وقبرتها قبل أن تقبر. رغبت نفسك عن الدنيا فلم ترها لك قدراً إلى الآخرة، كان سيماك في سرك ولم يكن سيماك في علانيتك، تفقهت في دينك وتركت الناس يفتون،

وسمعت الحديث وتركتهم يتحدثون، وخرست عن القول، وتركتهم ينطقون، لا تحسد الأخيار، ولا تعيب الأشرار، ولا تقبل من السلطان عطية، ولا من الإخوان هدية، آنس ما تكون إذا كنت بالله خالياً، وأوحش ما تكون آنس ما يكون الناس! فمن سمع بمثلك؟ وصبر صبرك؟ وعزم عزمك؟ لا أحسبك إلاّ وقد أتعبت العابدين بعدك، سجنت نفسك في بيتك فلا محدث لك، ولا جليس معك، ولا فراش تحتك، ولا ستر على بابك، ولا قُلّة يبرّد فيها ماؤك، ولا صحفة يكون فيها غداؤك وعشاؤك، مطهرتك قلبك، وقصعتك تَوْرك.

داود! ما كنت تشتهي من الماء بارده؟ ولا من الطعام طيبه؟ ولا من الملبس لينه؟ بلى! ولكن زهدت فيه لما بين يديك. فما أصغر ما بذلت، وما أحقر ما تركت في جنب ما أملت! فلما مت شهرك ربك بموتك، وألبسك رداء عملك، وأكثر تبعك، فلو رأيت من حضرك عرفت أن ربك قد أكرمك وشرفك، فلتتكلم اليوم عشيرتك بكل ألسنتها، فقد أوضح ربك فضلها بك).

هذا هو الكلام السهل الممتنع، وهذا هو الأسلوب الذي يسهل نطقه على اللسان، ويعذب وقعه على الآذان، ويدخل الجنان بلا استئذان، أفندعه لتكلف الصاحب، وتصنع القاضي الفاضل، وألاعيب الألفاظ في مقامات الحريري؟

وإن كان ما يصف به داود من ترك الملذات، وهجر الطيبات، وحرمان النفس من جميع الرغبات، ليس هو الزهد المشروع، وليس مما يأمر به الدين صفوة المؤمنين. (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ)(لأعراف: من الآية32) (كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحا)(المؤمنون: من الآية51) (ذكريات-2 ص 28/27)

الشيخ أبو الحسن الندوي

- صاحب كتاب (ندوة العلماء في الهند) أفضل كتب المنتخبات المدرسية التي أعرفها.

حافظ إبراهيم :

- (ذكريات-2 ص 188)

- شكرت جميل صنعكم بدمعي ودمع العين مقياس الشعور
لأول مرة قد ذاق جفني على ما ذاقه طعم السرور

- ليالي التصابي قد جفاني حبورها ولمتي السوداء أشرق نورها
ومن لي بإنكار الحقيقة بعدما تجلى على وجهي وفودي نذيرها
تذكرت أيام السرور التي مضت فيا ليت شعري هل يعود سرورها
لدن لي مع الأصحاب سهم مسدد وحظي من ريم الكناس غريرها
أسفت على عهد الشباب ولم تعد تثير فؤادي مقلة، وفتورها
وأدنتني الأيام من هوة الونى فأصبح مني قاب قوس شفيرها
وكادت صروف الدهر تطوي صحائفي وهل بعد هذا الطي يرجى نشورها

أسرة آل قدامة:

وقد أولعت مرة بتتبع أخبار هذه الأسرة فوجدت من نسائها العالمات بضعاً وعشرين، كلهن كانت تعد، إذا عد مشايخ البلد. ثم فترت همتي، ووقفت عن العمل، وضاعت الأصول، وذهب الكتاب الذي كنت أنوي إصداره عن آل قدامة. (ذكريات- 7 ص 87/86)

محي الدين بن عربي

وهو في الفلسفة وفي الكتابة ذروة من الذرى ولكن في كتبه أشياء هي (بمقياس الدين) كفر لا شك فيه . (ذكريات-2 ص 102)

الأستاذ ناصر الدين النشايبي:

ولما أصدر كتابه "الإسلام الصحيح" وكأنه كان موجهاً ضد آل الحسيني، لما كان بين الاسرتين من النزاع، وجدت فيه ما لا يوافق الإسلام الصحيح، فنقدته نقداً قاسياً جداً، على طريقتنا في تلك الأيام. (ذكريات-5 ص 69)

المودودي

في مقدمة هذه الرسالة، وفيما قرأته له من رسائل ، يكاد يرتفع أحياناً عن المرتبة الثالثة ، وربما بلغ الرابعة، وهو يتميَّز بعلم واسع، وعقيدة صحيحة، وذهن نفَّاذ، ومقدرة على الترتيب والعرض ، لكنه لا يخلو في هذا الباب من مواضع للنقد.

(فصول إسلامية – ص 193/192)

زكي مبارك

زكي مبارك فأحسب أنه صاحب أجمل أسلوب، تقرؤه بلذة، ولا تكاد تجد فيه فائدة، ولقد قرأت كتابه (ليلى المريضة في العراق) خمس مرات، وما فهمت ما ليلى هذه؟ أهي حقيقة أم رمز، وهل يصف واقعاً أو يسرد خيالاً؟ ماذا يريد أن يقول، ما عرفت ولا وجدت من عرف، ولكنه على ذلك كلام جميل جميل،أقر أنه يملك أجمل أسلوب في هذا العصر ، وهو أكتب مني وأحلى أسلوباً. (ذكريات-4 ص 161)

الحاج أمين الحسيني،

□ فيا ليت بعض من يعد رسائل الدكتوراه أو الماجستير، ويريد أن يكتب عن الرجل الذي كان له المكان الظاهر في قضية فلسطين،والذي عاش حياة حافلة

بالأحداث، يجمع فيما يجمع من أخباره ما عند الدكتور معروف الدواليبي وما عند الأستاذ زهير الشاويش. (ذكريات – 5 ص 116)

محب الدين الخطيب

- وبمناسبة الكلام عن الوثائق، لقد طالما قلت إنني أعرف أن عند خالي الوثائق الأصلية للحركة العربية التي قامت رداً على ما ذهب إليه غلاة الأتراك من الاتحاديين وغيرهم من قبلهم، قبل أن تصير إلى هذه القومية المعروفة، عنده رسائل رجالها، عنده ضبوط جلساتها، وكل ذلك بخطوط أصحابها وتوقيعاتهم، ويا ليت إحدى الجامعات أو الهيئات التي تهتم بتدوين تاريخ العرب الحديث تشتريها، أو تأخذ صوراً عنها لئلا يضيع شيء منها. (ذكريات – 5 ص 116)

الزيّات

كنت معجباً بالزيات ولا أزال معجباً به، وإن كان يحس القارىء بأنه يتعب بتخير ألفاظه ورصف جمله. ومن أجود ما ترجم إلى العربية من آداب الأمم الأخرى رافائيل لامرتين وآلام فرتر التي ترجمها الزيّات، ثم روايات الجيب. روايات الجيب هذه إن طرحت منها حكايات أرسين لوبين وجدت مجموعة من نفائس القصص والأدب العالمي "كالفندق الكبير" و "الأبيض والأسود" و "الحانة الزرقاء" وأمثالها. (ذكريات – 5 ص 13)

المنفلوطي

- سلس العبارة، ضحل المعنى ليس لأفكاره عمق، ولكن ألفاظه طلاوة، كثير الترادف، خطابي الأسلوب، ومقالته (تأبين فولتير) التي صاغ فيها ما ترجم له عن (فيكتور هوغو) هي في رأيي النموذج الكامل للأسلوب الخطابي، الذي كان الغالب على نثر هوغو، ومن قرأ كتبه (قبل المنفى) و(أثناء المنفى) وخطبه في مجلس النواب،ومرافعاته في المحاكم لا سيما دفاعه عن ولده، رأى

دليل هذا الذي أقوله. ولو اتقن هوغو العربية وكتب بها تأبينه فولتير لما جاء بأعظم ولا أكرم مما كتب المنفلوطي. هذا رأيي أنا.

وما أحد ممن كان من لداتنا ومن أبناء عصرنا إلا متأثر يوماً بالمنفلوطي و"نظراته" أما (العبرات) فأكثر قصصها بدائية مصطنعة، وليست البراعة أن يموت الولد من المرض، فتموت الأم من الحزن، ويموت الأب من الندم، ويموت أهل الحارة من البكاء .. بل البراعة أن يسخن الطفل قليلاًن ولا تدري أمه وهي وحدها في الدار ما تصنع له، فتسهر معه : تضمه إلى صدرها، وتحاول أن تدفع عنه المرض بعاطفتها، إن وصف حال الطفل والأم، أصعب من أن نجعل من هذا المرض وباءً يقتل أهل البيت والجيران، ويدع الناس كأنهم في هيروشيما، يوم ارتكب فيها ناس من البشر الجريمة التي لم يرتكب مثلها نيرون ولا هولاكو، ولا إبليس نفسه. (ذكريات – 3 ص 236/235)

وتمنيت أن يأتي من يترجم هذه المرافعات العظيمة، كما نقلت معاني تأبين فولتير للمنفلوطي، فكتبها بقلمه، فكانت قطعة أدبية، فيها نموذج كامل للأسلوب الخطابي، كمرافعات "برييه" الذي يكاد يكون أكبر محام في تاريخ القضاء الفرنسي، وهو الذي دافع عن "شاتو بريان" ضد الملك "لويس فليب" وهو الذي أنقذ من الموت "لويس نابليون" الذي صار من بعد "نابليون الثالث" ثم دفن مجده على يد "بسمارك" في حرب السبعين.

ومرافعات بابربو" و "لابوري" الذي دافع عن الكاتب الفرنسي "أميل زولا" في قصة اليهودي "دريغوس" القضية التي شغلت فرنسا يومئذ مدة من الزمان، ذلك لما كتب "زولا" مقاله المشهور "أنا أتهم". ومرافعا "والدكروسو" و "توريز" و "شارل شني" والمحامين الذين وصلوا إلى كرسي رئاسة الجمهورية مثل "بوانكاره" و "فيفاني". (ذكريات – 6ص278)

والد أبي الحسن

- والد أبي الحسن فهو مؤرخ الهند حقيقة ولقد استفدت من كتابه العظيم "نزهة الخواطر" فوائد جلية في تراجم عظماء الهند التي أودعتها كتابي (رجال من التاريخ) وفي رسالتي عن أحمد بن عرفان العالم المجاهد الصالح المصلح الذي ذهب شهيداً في المعركة الإسلامية لإعلاء كلمة الله ، أصدرت عنه رسالة في سلسلة لي عنوانها (أعلام التاريخ) ثم كتب عنه الأستاذ أبو الحسن كتابه الجامع بعد سنين، فكفى ووفى، ولم يدع بعده مجالاً لمقال. (ذكريات – 8 ص 105/104)

ابن قتيبة

- يزاول ابن قتيبة في هذا الكتاب بأسلوبه المتين، وطريقته السوية، بحثاً هو اليوم جديد في اللغات الأوروبية، لم يكد يعرفه أصحابها قبل فرويد النمساوي وأصحابه: يونج السويسري، وادلر الألماني، وبودوان الفرنسي، ورفرز الإنجليزي، وهو يتفق وهؤلاء الباحثين في كثير من مسائل هذا البحث، وإنما يختلف عنهم في أنه استمدَّ من معين النبوة، فأصاب كبد الحقيقة، وتمكن من سواء الثغرة. واتكلوا على ظنونهم، فحاموا حول الورد، وصدروا من غير ري!

والكتاب كما سترى في وصفه من الكتب الجليلة التي نرجو أن يتيح الله لها ناشراً، وهذه النسخة التي نصفها من مخطوطات (المكتبة العربية) العامرة (بدمشق).
أبواب الكتاب وهي ستة وأربعون باباً، فيها من نوادر الشعر وطرائف اللغة ودرر الأدب مثل ما في المقدِّمة، ولولا أن هذا الفصل قد طال، لاخترنا منها فقراً رويناها في (الرسالة)، والكتاب على الجملة من نفائس تراثنا العلمي، ومكانه من الخزانة العربية لا يزال خالياً لم يشغله كتاب. وإنا لنأمل من رجال الأدب ومن الناشرين الاهتمام اللائق به. (فكر ومباحث –ص 192/181)

الأستاذ المزروع

□ وكان عند الأستاذ المزروع دفتر كلما قدم مكة حاج أو زائر له اسم في الناس استكتبه فكتب بخطه في هذا الدفتر، يصف ما شاهده، وصور ما أحس به، واجتمع له مقدار من خطوط هؤلاء النبلاء لم يجتمع لغيره، وكنت كلما ذكرت هذا الدفتر بعثت أسأل بناته الفضليات عنه أرجو أن يصور وأن يطبع مصوراً تبدو فيها خطوط كاتبيه فيكون منه مرجع تاريخي وأدبي واجتماعي لا أعرف له مثيلاً،، وأنا أتمنى الآن أن يتحقق هذا الرجاء على يد مؤسسة (تهامة) وقد تولى الإشراف عليها الأستاذ محمد محمود. وعلى ذكر الأستاذ المزروع أقول: إني أعرف أن عنده دفتراً، إذا كان باقياً واشتراه أحد الناشرين بوزنه ذهباً لما كان مغبوناً، لأنه طفق على مدى عشرات من السنين كلما ورد زائر له اسم وله شأن من رجال العلم والأدب والسياسة استكتبه كلمات يكتبها بخطه في هذا الدفتر، فاجتمع فيه من خطوطهم، ومن آرائهم، ومن أساليب كتابتهم ومن ملاحظاتهم، ما لا يوجد مجتمعاً– فيما أعلم – في كتاب اخر، والرأي أن يطبع طبعاً مصوراً ، ويعرف بكل من ورد اسمه فيه، ويترجم له ترجمة مختصرة، أو يتولى ذلك نادي مكة الأدبي على أن يكون لبنات المؤلف مكافأة مالية. أو تشتريه من الورثة إحدى الجامعات وتحفظه حتى يأتي من يطبعه وأرجو ألا يذهب هذا الاقتراح في الهواء (ذكريات – 8 ص 232)

ابن عابدين

ولم في هؤلاء جميعاً – على أغلب الظن– من هو أوثق في الفقه ، وأنفذ فيه فكراً، من ابن عابدين، الذي كتب الله لمؤلفاته أن تكون أكثر الكتب ذيوعاً، وأعمها نفعاً، وأن تكون حاشيته المشهورة عمدة المفتين في المذهب الحنفي من أكثر من مئة سنة، لا يضارعها في تحقيق مسائلها، وفي إقبال الناس عليها، كتاب من كتب الفقهاء المتأخرين في المذهب الحنفي، على بعض العجمة في أسلوبها، وبعده عن الأسلوب

العربي النير الذي تجدون مثاله في كتاب "المبسوط" للسرخسي الحنفي، أو في كتاب "الأم" للإمام الشافعي. (ذكريات – 7 ص 66)

الزين

وكان الزين مؤلفاً يصنف للطلاب الكتب التي توافق مداركهم، وتسيغها عقولهم: ألف (المعجم المدرسي)، ثم ألف رسالة ما سبقه أحد فيما أعلم إلى موضوعها هي (المعجم في النحو والصرف) وجعله مرتباً على الحروف ... وأنا أقترح على الأستاذ الكبير عبدالرحمن التونسي، والشيخ هو عم أمه، أن يعيد طبعه وأن يسعى لتعممه وزارة المعارف على جميع التلاميذ، فإني لا أعرف كتاباً في حجمه، يحوي مثل علمه، ويفهمه التلاميذ مثل فهمه. (ذكريات – 1ص63)

الإمام السبكي

الأسلوب من الإمام السبكي في "طبقات الشافعية"، فإنه إن ذكر مناظرة بين عالمين لخصها وبين وجهة كل منهما، وإن عرض لذكر مسألة عرف بها، ولم يكتف بالإشارة إليها، كما صنع عند الكلام عن محنة "خلق القرآن"، وموقف الإمام أحمد منها، فقد فصل القول فيها، على بعد عهده من عهدها، فكان كتابه أوفى مرجع للباحث فيها. وامتاز من كتب التراجم الكثيرة جداً بأنه كان كتاب علم وأدب، فوق أنه كتاب تاريخ وخبر. (ذكريات – 7ص107)

ابن رشد

- كان قاضي الجماعة في الأندلس، ولقب قاضي الجماعة فيها يعدل لقب قاضي القضاة في بغداد، وكان من أكبر فقهاء المذهب المالكي، مع مشاركة قوية، واطلاع واسع على المذاهب الأخرى، ويكفي دليلاً على ذلك كتابه العظيم (بداية المجتهد ونهاية المقتصد) وهو من أجود الكتب فيما يدعونه الآن في كليات الشريعة (بالفقه المقارن) وهو ترجمة حرفية لاسمه عند غيرنا، ولو

رجعوا إلى ما كان يسميه به أجدادنا لكان خيراً وأجدى وهو (علم الخلاف)، فإذا قولوا فلان عالم باختلاف الفقهاء، قصدوا اختلاف العلماء في المذهب الواحد، وإذا قالوا علم الخلاف فإنما يريدون به ما يراد الآن باسم الفقه المقارن. (ذكريات – 8ص349)

الشيخ محمد المبارك

- وإذا أردتم أن تروا مثالاً على أدب فاقرأوا رسالته المطبوعة "بهجة الرائح والغادي في أحاسن محاسن الوادي".(ذكريات – 7ص174)

الشيخ عيد السفرجلاني، والشيخ كامل القصاب، والشيخ أبي الخير الطباع

خبروني لماذا نؤلف الكتب ونعد الدراسات نجعلها موضوعات الرسائل الجامعية، والأطروحات، عن رجال السياسة، ورجال الفن، ولا نقضي ديونا رجال التعليم علينا؟ هؤلاء هم الذين نشؤوا أولادنا، هم الذين وضعوا الأساس لبناء ثقافتنا، هم الذين يكون الصلاح منهم إن كانوا صالحين، فلماذا لا نوليهم من العناية ما يستحقون؟ لماذا لا يكتب الشاميون عن الشيخ عيد السفرجلاني، والشيخ كامل القصاب، والشيخ أبي الخير الطباع؟ لماذا لا نكتب هنا عن محمد علي زينل، وعمن فتح المدرسة الصولتية وعن الذين أقاموا للتعليم في المملكة هذا الصرح العظيم. (ذكريات – 7ص174)

ابن هانئ

- شاعر بليغ كانوا يسمونه متنبي المغرب، ولكنه زائغ العقيدة، فاسد الدين، وقصيدته هذه العينية من روائع الشعر الوصفي، ومثلها بل أبلغ منها أسلوباً، وأعلى في البلاغة طبقة، قصيدة بشار التي يقول فيها:

فراحوا: فريق في الأسار ومثله قتيل ومثل لاذ بالبحر هاربه

(ذكريات – 7ص306)

عبدالقادر الأنصاري الجزيري

- مواكب الحج قديماً فإن أحسن من وصفها في كتابه "درر الفوائد المنظمة" الذي طبعه محب الدين الخطيب في السلفية بطلب من الشيخ محمد نصيف رحم الله الاثنين، وهو الذي وقع على نسخته وصححها واشترك في تصحيحها صديقنا الأستاذ محمد سعيد العمودي. فاقرؤوا هذا الوصف في الصفحة 95منه. (ذكريات – 7ص306)

الأستاذ/ عبدالحكيم مراد

- ألف كتاباً كبيراً، سماه "جبر القيمة" كنا نمضي سهرات في قراءته، أنا ورفاقي سعيد الأفغاني، وأنور العطار، وحسني كنعان، ومن كان معنا يومئذ من الإخوان. نقرؤه فلا نفهم منه شيئاً، ونتخذه وسيلة إلى التسلية، وملء الوقت الفارغ، ونعمل من فقراته نوادر نتفكه بروايتها. (ذكريات – 7ص19/18)

ثانياً : آراؤه في بعض الكتب والمجلات

مجلة "الفتح"

- كان لها عمل عظيم عظيم في تنبيه المسلمين، وإيقاظهم وإرشادهم، والتمهيد لهذه الصحوة الإسلامية التي نراها ونحمد الله عليها اليوم، والتي نسأله دوامها، وتصحيح مسارها، ودرء الأذى عنها، ولعل الله يلهم واحداً من طلاب الدراسات الإسلامية في جامعاتنا إعداد رسالة أو أطروحة عنها. كانت "الفتح" أوعى مجلة إسلامية ، توجه حتى في عناوين الأخبار العامة التي تنقلها عن وكالات الأخبار، فتحول بالعنوان مغزى الخبر عما تريده الوكالة إلى ما يوافق خطة "الفتح" ويريده الإسلام

لما وصلت مصر كان قد مر على ظهور " الفتح" سنتان، ولكنها استطاعت أن تكون بتوفيق الله مجلة العالم الإسلامي، وكان لها مواقف مشهودة في الرد على "الشعر الجاهلي" الكتاب الذي جاء بالكفر الصريح، والذي شغل مصر عن قضيتها الكبرى، ولعل هذا من جملة مقاصد من كتبه، ومن سرقه كاتبه منه وهو (مارجليوث)، ومن دفع إليه أولاً، ودافع عنه ثانياً، وكتاب "الإسلام وأصول الحكم" وهو كتاب أسوأ من الأول، لأن الأول فيه الكفر الصريح يراه المسلم فيعرفه، وهذا فيه الكفر المغطى، لا ينتبه إليه إلا النبيه، فينال منه وهو لا يشعر، وقد ثبت أن هذا أيضاً مسروق.

وكان لـــ "الفتح" موقف عظيم في التنبيه إلى خطر "الظهير البربري". والظهير باصطلاح المغاربة كالمرسوم الملكي عندنا، أصدره الفرنسيون يريدون به إماتة أحكام الإسلام، وإحياء أعراف البربر الذين أرادوا فصلهم عن المسلمين، كما أريد ذلك في الجزائر من ثلاث سنين، فأبى الله ذلك والمسلمون، لأن البربر من يوم أن شرفهم الله (كما شرفنا) بالإسلام، صاروا هم أهله، وهم حماته، لا فرق بين عربي وبربري، بل لا فرق بين عربي وعجمي ولا بين أبيض وأسود هذا هو حكم الإسلام.
(ذكريات–ا ص 260)

مجلات متنوعة

ومن المجلات الواعية التي عرفتها، أقول (منها) ولا أسميها كلها، "البصائر" مجلة جمعية علماء الجزائر التي كان يشرف عليها، ويكتب بقلمه البليغ افتتاحياتها الصديق الشيخ البشير الابراهيمي، و"الضياء" للأستاذ مسعود الندوي في الهند، و"المجتمع" التي تصدر اليوم في الكويت، و"الرائد" التي تصدر في الهند، فيما تصدر المؤسسة الإسلامية الجليلة: "ندوة العلماء".

مجلة (المضحك المبكي)

ينشر في كل عدد منها صورة كاريكاتورية، في الموضوع الذي يشغل الناس، تبقى الأسبوع كله حديث البلد، وبطلها تاجر وجيه اسمه أبو درويش سويد، عبقري في ابتكار النكتة، ما رأيت له مماثلاً، ولا في مصر، بلد النكتة كما يقولون. (ذكريات ص 152)

كتاب "الصاحبي"

- وهو من أوائل الكتب التي وقعت في يدي وأنا صغير، فقرأته، وكدت أحفظ كل ما فيه، وكان من أوائل ما انتفعت به من الكتب. (ذكريات-6 ص 258)

كتاب (أصول الفقه)

- ولما أصدر ــ أي شاكر الحنبلي ــ كتاب (أصول الفقه) وأهداه إليّ وجدته يعرض فيه كتاب (المنار) عرضاً مفهوماً، بأسلوب العصر، لكن ساءني من أنه سرق من كتاب الشيخ عبدالوهاب خلاف صفحات وصفحات، نقلها كما هي ولم يشر إلى مصدرها، ولم يمنعني كونه أستاذي أن أشير إلى هذه السرقات لما كتبت – كما طلب مني – نقداً للكتاب. (ذكريات-2 ص 171)

كتاب ذكرى

□ الكتاب القيم الذي لم يصنع وفيّ لحافظ وشوقي مثله، هو الشاعرين للأستاذ أحمد عبيد الذي جمع فيه ما كتب عنهما وما قيل فيهما. (ذكريات- 2 ص 188)

كتاب (عمدة التحقيق في التقليد والتلفيق) للشيخ سعيد الباني طبع سنة 1341هـ

□ قدم بين يديه مقدمات لو أفردت بالطبع، أو لو أخذتها مجلة إسلامية فأعادت نشرها، لكان للقراء منها خير كبير، وهذه المقدمات هي:

الإسلام دين الفطرة – إن هذا الدين يسر – اتساع الشريعة الإسلامية – الأئمة المجتهدون على هدى من ربهم الخ .. ألحق بها فصولاً نافعة جامعة، هي :

الرأي ينقسم إلى محمود ومذموم – في إصابة الحق – السؤال عما لم يقع - الدعوة إلى توحيد المذاهب – ما فيه مساغ للاجتهاد وما لا مساغ له فيه – التقليد وأنواعه وحكمه – لا إفراط ولا تفريط – وفصول أخرى كل فصل منها يصلح رسالة قائمة برأسها.

والكتاب الثاني في (أحكام الذهب والحرير)، طبع سنة 1349هـ، في أوله أيضاً مقدمات نافعة، قد فصل فيها القول، وأقام عليها الدلائل، لها مما يحتاج الشباب اليوم إليه، وأكثرها مما لا يجدون مراجع فيه، هي:

أقسام التكاليف الشرعية، يسر الشريعة وسعتها، كلام في علة الحكم، تصرفات الرسول صلى الله عليه وسلم: أي ما كان منها تبليغاً لشريعة الله، وما كان من باب الفتوى أو القضاء، أو ما كان من تصرفات الحاكم والقائد، وما كان في أمور الدنيا الخالصة من الشؤون الزراعية أو الطبية إلخ...

وهذه العناوين لا تدل على ما تحتها، فقد تكلم عن مسائل في الدعوة وفي السياسة وفي تحصيل العلوم الجديدة، كتب ذلك قبل أكثر من ستين سنة ، ولو نشر مثله الآن

لعد من حسنات هذا الزمان، الذي اتسعت فيه العلوم وسمت الأفكار، ووجد فيه ما لم يكن يعرف قبله. (ذكريات–2 ص 201/200)

(رسائل الإصلاح).

- أول هذه المصنفات صدوراً من يقرؤها الآن لا يستطيع أن يدرك الأثر الذي كان لها يوم صدورها. إنها كانت حجراً، أو قل (حصاه) ألقيت في بركة ساكنة، ألاّ ترون الحصاة على صغرها ترسم على وجه البركة دائرة، بعدها دائرة أوسع منها، ثم تتعاقب الدوائر حتى تبلغ حفافي البركة كلها. (ذكريات– 2 ص 35)

الصحافة على عهد الفرنسيين

- كانت حرة لا يقيدها إلاّ القانون، والقانون ليس قيداً، إنما القيد أن تتحكم الأهواء، ومصالح الحكام، وإرادة أفراد يأمرون فيطاعون، ولا يحاسبون على ما يقولون وما يفعلون، فإذا نشرت الصحيفة ما لا يريده الحكام (يومئذ) لم يملكوا إلاّ أن يحيلوها على القاضي، والقاضي لا يملك أن يحكم عليها إلاّ بالقانون، وحكم القاضي يرفع إلى محكمة أعلى، والقانون يستطيع أن يعدله مجلس النواب أو يبطله. لذلك كنا نكتب فننتقد، ونعترض ونقول ما نشاء.

على أني لا أريدها حرية مطلقة من كل قيد، فالحرية المطلقة لا تكون إلاّ للمجنون الذي يفعل كل ما يريد، وكل حرية لها حد، تنتهي حريتك في أرضك حيث تبدأ حرية جارك في أرضه. لا أريدها حرية الكفر بل حرية الفكر، فإن مست ديننا أو أضرت بأمتنا أو أفسدت أخلاقنا قلنا لها: كلا!.

وقد جربنا الحرية المطلقة في صحافة لبنان، فصار من بعض الصحف سفارات أجنبية، ومن بعض الأقلام معاول للهدم، وجرّت علينا ما نرى اليوم ونسمع. (ذكريات–2 ص 16)

كتاب"الإسلام الصحيح"

لصاحبة الأستاذ/ ناصر الدين النشايبي كان موجهاً ضد آل الحسيني، لما كان بين الاسرتين من النزاع، وجدت فيه ما لا يوافق الإسلام الصحيح، فنقدته نقداً قاسياً جداً، على طريقتنا في تلك الأيام.

كتاب "الإسلام الصحيح"

للأستاذ ناصر الدين النشايبي– فالذي كنت كتبته عنه، والذي يهمني الآن منه، وقد سمعت أنه أعيد طبعه أن أقول إن فيه أشياء ليست من الإسلام الصحيح. (ذكريات – 5ص118)

كتاب الأستاذ عز الدين التنوخي

- كتاب لم أر إلى الآن كتاباً أجود منه، في قديم وصف حياة الطلاب وطبع في جزأين كبيرين ولكن لغته أعلى من أن تصل إليها أفهام التلاميذ، وكنت قد استأذنته في أن أسهل عبارته، وأن أكتب قصصه بأسلوب أقرب إليهم، وأسهل عليهم، فأذن لي، ثم توفاه الله، وضعفت همتي عن العمل فلو أحد الأدباء الذين يحسنون الكتابة للتلاميذ، يستأذنون ورثة الأستاذ التنوخي، ويعيدون كتابته بأسلوب سهل قريب، ليقدموا بذلك للتلاميذ أكبر هدية فكرية. (ذكريات– 4 ص 298)

كتاب (الفرج بعد الشدة للقاضي التنوخي)؟

لقد قرأته وعمري إحدى عشرة سنة، ثم قرأته أكثر من ثلاثين مرة، وحفظت قصصه كلها من كثرة ما أعدت النظر فيه، وصححت من حفظي الكثير من أخطاء النسخة المطبوعة منه، ولو وجدت له نسخة مخطوطة صحيحة لحققته وأعدت نشره، لأني صرت من أعرف الناس به، فاقرؤوه على كثرة أغلاطه تجدوا فيه ما لا تجدون مثله

في كتاب آخر، من صور المجتمع العباسي ومصطلحات أهله، وأحوال الموظفين وأوضاع التجار،وأقل ما تستفيدون منه أنه يهون على المحزون منكم حزنه، حين يرى أن من الناس من أصابه أكثر مما أصابه ولكن في كلمات من اللغة العباسية لا يكاد أحد يعرف معناها معرفة يقين، ومثلها في (البخلاء)للجاحظ، حاول بعض المستشرقين تفسيرها فوفقوا في بعضها. (ذكريات – 3 ص 12/11)[1]

"العبرات"

التي حاول المنفلوطي أن يجعل منها قصصاً، فلولا جمال أسلوبها ما كان لها في ميزان الأدب الحق ثقل، ذلك لأن الأم التي ترتفع حرارة ولدها، وليس عندها أحد، فلا تدري ما ذا تصنع له، فيتقطع قلبها شفقة عليه وحباً له. وصف هذه الأم أصعب بمئة مرة مما ذهب إليه المنفلوطي، وهو أن يجعل الولد يموت فتموت من حزنها عليه الأم، ويأتي الأب فيفاجأ بالخبر فيصعق فيموت ويموت الجيران، ويموت أهل الحارة، ويكون وباء عاماً. هذا الذي تشتمل عليه "العبرات". (ذكريات – 5 ص 13)

راية القرآن، ووحي القلم، السحاب الأحمر :

أكثر ما كنت أنصحهم بقراءته من كتب الرافعي، تحت راية القرآن، ووحي القلم، أما السحاب الأحمر وأمثاله فأوصيهم بالابتعاد عنه. (ذكريات – 8ص250)

الدروس النحوية لحفني ناصف :

الجزء الرابع من الدروس النحوية لحفني ناصف وإخوانه، وقد قرأت الأجزاء الثلاثة من قبل.

[1] كتاب (الفرج بعد الشدة) خبرني أخي أو ولدي الأستاذ العصامي النبيه زهير الشاويش صاحب (المكتب الإسلامي) للنشر وناشر العشرات من كتب الفقه الحنبلي والتب السلفية القيمة ومحققها خبرني أن الأستاذ(عبود الشالجي) حققه ونشره في خمسة مجلدات، فسر فيها الألفاظ العباسية وعلق عليها، كما نشر الكتاب الآخر للقاضي التنوخي وهو (نشوار المحاضرة)، ففرحت بهذا الخبر عنهما وعجبت كيف لم أرهما ولم أسمع بهما وقد طبعا منسنين.

وهذا الكتاب يغني الطالب بل المدرس بل الأديب، عن النظر في غيره، وهو أعجوبة في جمعه وترتيبه، وإيجاز عبارته، واختياره الصحيح من القواعد، وهو أصح وأوسع من شذور الذهب، ومن ابن عقيل. (ذكريات – 1ص155)

الطبقات الكبرى للشعراني و" السلسل المعين في الطرائق الأربعين" للشيخ السنوسي الكبير، و"الفتوحات المكية" و"الفصوص" لابن عربي :

إن هذه الأقوال وأمثاله التي تفيض بها الكتب المنسوبة إلى الصوفية، كـــ" الطبقات الكبرى" للشعراني و "السلسل المعين في الطرائق الأربعين" للشيخ السنوسي الكبير، و"الفتوحات المكية" و"الفصوص" لابن عربي، هذه الكتب تورث الجنون أولاً والكفر ثانياً. (ذكريات – 7ص78)

الفتوحات :

الاقتراح هو أن نأخذ الفتوحات، فنمحو منها هذا كله، وهذا كله لا يبلغ عشر الكتاب، ثم نطبعه طبعة جديدة، ونكتب على غلافها (مهذب الفتوحات) فنستفيد منه ونستمتع بالخير فيه، ونسلم مما فيه من الشر، فما رأيكم دام فضلكم؟.(ذكريات – 1ص139)

كتاب الحيوان للجاحظ :

عيب كتب الأدب العربي القديم، ومن نشأ عليها وألفها، هو الاستطراد، والخروج عن الموضوع. هذا كتاب الحيوان للجاحظ مثلاُ، أسأل من قرأه منكم: كم في أبوابه مما يدل عليه عنوانه؟ هل التزم فيه علم الحيوان (أي علم الحياة) أم ذهب به الاستطراد يميناُ وشمالاً، فتكلم في كل شيء؟ هذا هو أسلوب كتبنا الأدبية فلا تلوموني – وقد نشأت عليها – أن أسلك سبيلها. (ذكريات – 1ص10)

عيوب معاجمنا (أي قواميسنا)

فإنها لا تراعي التسلسل التاريخي لمعاني الكلمات. بل ينسى الأساتذة العصريون ممن كتب في موضوع الثقافة، إن الاسم يوضع قبل الفعل، فهو الأصل والفعل مشتق منه، ومتفرع عنه، ولي تعليقات كثيرة على المعاجم. منها بحث في المعنى الأصلي من معاني الكلمة التي توردها، ولكنني على عادتي في إضاعة ما أكتب وما أعد لم أجمعها، وإنما تركتها في ذهني تأتي بها المناسبة، ويذهب بها النسيان. ومما لاحظته على المعاجم أنها أساءت في شيء كانت تستطيع الإحسان فيه، وهو أنها تسرد المعاني المتعددة للكلمة الواحدة، أو اختلاف وزنها الصرفي، تحشدها كلها حشداً، ولو أنها بينت أن، كل واحدة منها لغة قبيلة من قبائل العرب، فنسبتها إليها، وعزتها إلى مصدرها، لأفاد الناس من ذلك أكبر الفائدة، ذلك أن قبائل العرب لم تكن في منزلة واحدة من الفصاحة وأن المعاني المختلفة، أو الأوزان المتعددة، بعضها مثل الحديث الصحيح، وبعضها مثل الحديث الحسن، وبعضها مثل الحديث الضعيف، فلو أن علماء اللغة الذين دونوها، وألفوا معاجمها، ميزوا بينها، وفعلوا فعل المحدثين لكان من ذلك نفع كبير.

(ذكريات-7 ص 93)

(رسائل ابن عابدين)

المشهورة التي أعيد طبعها الآن، ووجدت في الأسواق بعد أن كانت نادرة، يكاد يتعذر وجودها. وكل رسالة منها تصلح أطروحة لنيل شهادة الدكتوراة. (ذكريات – 8 ص62)

كتاب سيد قريش

□ فبينا نعدُّ (سيد قريش) عملاً فنياً كبيراً على ما فيها من ضعف العقدة الروائية، وتشابه المناظر، وتكرار الأوصاف، وغلبة النصرانية على أجمل صفحاتها،

رسائل (أئمة الأدب)

- نعد رسائل (أئمة الأدب) لخليل مردم بك، كتباً مدرسية، موضوعة لطلاب البكالوريا لا تبلغ أن تعدَّ في الدراسات القوية التي تستند إلى طريقة في البحث معروفة، وتكشف عن نواح مجهولة من حياة الأديب الذي تبحث عن ومن أدبه. (فكر ومباحث– ص165/ 166)

مجلة (الرسالة)

- لا تجد في دمشق أديباً أو متأدِّباً إلا اعترف لك بأنها خير مجلة أخرجت للناس وأن العالم العربي لم يعرف مجلة مثلها منذ أنشئت أول مطبعة في مصر، ولا تجد أديباً أو متأدباً إلا وهو ينتظر يوم الثلاثاء ليقرأ الرسالة. (فكر ومباحث – ص 167)

قصة "مم وزين"

- و"مم وزين" في الأدب الكردي، وقد نقلها إلى العربية الأستاذ سعيد رمضان البوطي الدمشقي، قصة واحدة مكررة ما تبدل فيها إلا الأسماء والمواضع. (ذكريات – 8 ص 92)

قصة (رفائيل)

قصة (رفائيل) أول مرة، بإذن أستاذنا شيخ أدباء الشام سليم الجندي، وكان يحرم علينا أن نلمَّ بشيء من الأدب الحديث أو ننظر في جريدة من الجرائد، قبل أن نتمكن من الأدب القديم، ونألف الصياغة العربية، وتستقيم ملكاتنا على طريق البلاغة السويِّ خشية أن تدخل جراثيم العجمة إلى أسلوبنا، وأن يفشو الضعف في بياننا، فلما سألته عن قصة رفائيل غداة صدورها هل أقرؤها؟ نظر فيها ثم أذن لي بقراءتها لأنه رآها بليغة الأسلوب، صافية الديباجة، سليمة اللغة، سامية البيان، فكانت من أوائل ما قرأت من الأدب الحديث بعد (النظرات) لا أستطيع أن أصف أثرها في نفسي ولا في خيالي ولا في قلمي تلك الأيام، ولا أملك حتى الإلمام بذلك إلماماً، لأنه شيء فوق الوصف

وإنما أعترف أنها أحد المصنفات القلائل التي كانت غذاء أدبي من الكتب الجديدة بعد أن غذيته بأمهات كتب الأدب القديم. وقرأت (آلام فرتر) فكان لها مثل ذلك الأثر؛ ثم افتقدت هذا اللون من الأدب فلم أجده؛ ثم وجدت شبهه في مثل (عطيل) مطران و (مرجيت) زكي و (فاوست) عوض وإن كانت هذه من قماش وتلك من قماش، وإن اختلف النسج وتغيَّرت الديباجة، وأمثال (تأبين فولتير) التي نقلها المنفلوطي إلى العربية بقلم أحسب لو أن (هوغو) كان عربياً ما كتبها بأبلغ منه؛ كما أن لامارتين لم يكن ليكتب قصته ولا جوت كتابه، خيراً مما كتبهما الزيات ولو خلقا عربيين من أبين العرب. وإني حين أقرأ اليوم هذه الروائع من أدب الغرب مترجمات في (روايات الجيب) مثلاً أكاد أخرج من ثيابي غيظاً وغضباً لهذه المعاني الكريمات تجيء في هذه الكلمات، وأسفاً على هذه العرائس الفاتنات تخرج في هذه الثياب الأخلاق الباليات، وأفكر لو أن الله قيَّض لقصة (ذهب مع الريح) مثلاً أو (الفندق الكبير) أو (الأم) وأمثاله الكثيرات من عبقريات القصص العالمية التي ترجمها كتاب روايات الجيب، ونشكرهم على كل حال على حسن اختيارها، وبذل الجهد فيها، إذ لم يدَّخروا في التجويد وسعاَ؛ لكن البلاغة درجات، والكتَّاب طبقات؛ لو أن الله قيض لها قلماً لدناً قوياً، لا يشتد فيجرح ولا يضعف فينكسر، فترجمت بأسلوب عذب بليغ، لا يصح من غير جمال فيجف ويجمد، ولا يحمل من غير صحة فيميع ويسيل، لكان منها لهذا النشئ مدرسة، الله وحده يعلم كم كانت تخرِّج لهذه الأمة من كتاب. وليست العبرة في الترجمة بنقل المعنى المجمل للقصة، بل بنقل التفاصيل الفنية الدقيقة والصناعة الناعمة، وطريقة عرض الفكرة، وأسلوب تصوير المشهد. ولو أن المعنى المجمل هو المقصود للخصت قصة يوسف مثلاً في كلمات وضاع إعجاز السورة وجمالها الإلهي، ولكانت قصص الحب في الأدب متشابهة لا تخرج عن أن رجلاً أحب امرأة حباً عاطفياً أو جسمياً، فوصل إليها أو حيل بينه وبينها؛ فهذه أنواع أربعة للقصص الغرامية ينشأ منها أربع قصص فقط ويكون الباقي كله لغواً، مع أن في كل قصة جوّاً خاصاً بها ودنيا لها وحدها، لا تغني في المتعة الروحية بها قصة منها عن قصة، وما

ذاك إلا لاختلاف الدقائق والتفاصيل، ولا يظهر هذه الدقائق والتفاصيل إلا قلم بليغ، بصير بمواقع الكلام، عارف بأوجه الدلالة في الألفاظ، له الحاسَّة الخفية التي يفاضل فيها بين الكلمات ويحسن انتقاءها، إذ ربَّ كلمتين بمعنى، وبين إحداهم والأخرى مثل ما بين البلاغة والعيّ. ورب كلمة في لسان لها جوٌّ ولها مدلول، وتحيط بها ذكريات عند أهل ذلك اللسان، لا يمكن أن تجيء بها مرادفتها في اللسان الآخر، ومن هنا علت بعض النصوص كالقرآن مثلاً عن الترجمة واستحال أن تنقل إلى غير لغتها. (فكر ومباحث- ص 172/171)

كتاب "التصوير الفني في القرآن".

لأني لم أتخيل سيد قطب إلا مقارعاً محارباً، ولم أعرفه إلا كاتباً مجادلاً مناضلاً، يهاجم مهاجماً ومدافعاً ومحايداً.. وذهبت فقرأت الكتاب فوجدت فتحاً والله جديداً، ووجدته قد وقع على كنز كأن الله ادَّخره له، فلم يعط مفتاحه لأحد من قبله حتى جاء هو ففتحه، وشعرت عند قراءته بمثل ما شعرت به عند قراءة "دفاع عن البلاغة" لسيد البلغاء الزيَّات. (فكر ومباحث- ص 25)

كتاب (إحياء العروض)

- وهو أحسن كتاب أعرفه في علم العروض، إذا ضمّ إليه ما كتبه صديقنا الأستاذ ميشيل الله ويردى (ومعناها: ميخائيل عطاء الله) (ذكريات –2 ص 260)

كلمة عن الأدب

وهل في الدنيا شيء بعد الدين أعظم من الأدب؟ إنه كلام ولكنه كلام يجر فعالاً. إنه كلام ولكنه يقيمكم إن كنتم قاعدين، ويقعدكم إن كنتم قائمين، ويدفع بكم إلى الموت، ويأخذ بأيديكم إلى الحياة، وكذلك يتصرف الأدباء بالناس. (ذكريات – 3 ص 243)

كتابين (نزهة الخواطر) و (ثقافة الهند)

وقد قرأت الكتابين اللذين وصلا إليّ مما ألفه والد السيد أبي الحسن، كتاب (نزهة الخواطر) الذي جمع فيه من سير أعلام الهند، ومن نشأ فيها، ما لم يجمعه كتاب غيره، فهو يغني في هذا باب عن كل كتاب، ولا يغني عنه كتاب.

وكتابه الآخر الذي نشره المجمع العلمي في دمشق وسماه المجمع (ثقافة الهند)، والذي أودعه المؤلف ما لا يستطيع مثلي أن يجده في خزانة كاملة، يكب عليها، يطالع ما فيها.

لقد تعلمت من هذين الكتابين، ومن زيارة الهند منذ ثلاثين سنة، اننا بجهلنا تاريخ الإسلام في الهند إنما نجهل ربع تاريخنا.

كتاب الأستاذ أبي الحسن ليس سرداً لأحداث حياته، ولكنه كتاب أدب فيه وصف للأمكنة كأنك تراها، وكتاب علم في ذكر العلماء ومجالس العلم، وسجل اجتماعي في وصف عادات الناس وأوضاعهم في الهند. (ذكريات – 8 ص107)

كتاب "ولدي"

- للدكتور حسين هيكل فإنه وإن لم يصف لكم مدى أحزانه، فقد كان أثراً من آثار أحزانه. (ذكريات – 6ص127)

كتاب (المواقف)

وللأمير عبدالقادر مملوء بمذهب (وحدة الوجود)، ألزمت وأنا صغير بالمشاركة بتصحيح تجارب طبعه فلما رأيت ما فيه استعذت بالله، وتركته. (ذكريات – 1ص138)

(مذكرات طه حسين)

- ولعله تتمة الجزء الأول من كتاب (الأيام)، فوجدت فيه "أشهد بالحق، أسلوباً بلغ الغاية في القوة، وأجمل ما فيه الجملة القرآنية، فهو يكثر منها فلو أردت

أن أرشد الطلاب إلى كتاب من كتبه لأرشدتهم إلى هذا الكتاب، ونبهتهم إلى ما فيه مما لا يسيغه القارئ المسلم. (ذكريات – 8ص298)

كتاب (فيض الخاطر)

لأحمد أمين ولعل من أنفعها للطلاب، وإذا لم يكن لهم بد من أن يحذوا حذو كاتب من الكتاب، فليأخذوا أحمد أمين، لأنه يعمد إلى مشهد من مشاهد الحياة رآه، أو فكرة من الأفكار قرأها أو سمعها، فيذكر ما يتصل بها، وما يتفرع عنها، ويمشي يميناً وشمالاً ثم يعود إلى الطريق الذي بدأ منه، وأتباع هذه الطريقة سهل على الطلاب. (ذكريات – 8ص298/299)

كتابان الأحكام السلطانية

□ والأحكام السلطانية كتابان، بين أيدي الناس، عنوانهما واحد، وموضوعها واحد، وترتيبها واحد، وكل شيء فيهما واحد، إلا أن أحدهما يستشهد بأحكام الفقه الشافعي، والآخر بأحكام من الفقه الحنبلي، ومؤلفاهما كانا يعيشان في عصر واحد، وفي بلد واحد، وكلاهما كان قاضياً وأحسب أنهما كانا في محكمة واحدة، وكلاهما عالم كبير، في مذهبه، هما: الماوردي الشافعي، الملقب بأقضى القضاة، والقاضي أبو يعلى الذي إذا أطلق اسم القاضي عند الحنابلة انصرف إليه، فمن منهما الذي أخذ من الآخر؟ معضلة مرت علها القرون ولم يستطع أحد أن يحكم فيها بدليل، ولكن الذي يميل القلب إليه أن المؤلف الأصلي هو الماوردي الشافعي، لأن له كتباً أخرى تشبه هذا الكتاب، وأبو يعلى على علو قدره في الفقه، ما في كتبه ما يشبه هذا الكتاب، لا في ترتيبه ولا في أسلوبه. وهذا والله وحده هو العالم بحقيقة ما كان. (ذكريات – 8ص324/325)

كتاب زاد المعاد

- والغريب أن الإمام ابن القيم في كتابة "زاد المعاد" شغل نحواً من ربع الكتاب بهذا وأمثاله، الذي صار اليوم أقرب إلى أوهام العوام، وغرائب الأفهام. (ذكريات – 7ص275)

كتاب "جولة أثرية في شمال سورية"

- والأستاذ العالم الزراعي الأثري وصفي زكريا، رحمه الله، وهو صاحب الكتاب العظيم "جولة أثرية في شمال سورية". وقد كان عندي فضاع مني، وفتشت عن نسخة أخرى له فلم أجدها، ويا ليت بعض الناشرين يعود إليه فيطبعه. (ذكريات – 4ص22)

كتابه "الإحياء"

وكتابه "الإحياء" للغزالي عظيم ، ولكن فيه أيضاً من أخطاء الصوفية وأخطارها الشيء العظيم. (ذكريات – 7ص270)

قصص جورجي زيدان

التي لا أنصح مسلماً بقراءتها. (ذكريات – 7ص309)

كتاب "على السفود"

- وكان أكثره همزاً ولمزاً، وهجاء للكاتب، وهزءاً وسخرية به. وكان على هذا الأسلوب كبار الكتاب كشيخنا الرافعي والأستاذ العقاد، وقد بلغ ذروته، أقصد أنه نزل إلى حضيضه ، وفي هذا الكتاب نقد أدبي كثير، وفيه حقائق جمة، وفيه فن، ولكن هذا كله قد ضاع في غمرة هذا الأسلوب الذي لا أستطيع – على حبي للرافعي– أن أقول إنه أسلوب نظيف أو مقبول. (ذكريات – 6ص181/182)

كتاب "حياة الحيوان للدميري"

وهو كتاب عجيب، فيه فقه، بل إنه يعد أقرب مرجع في معرفة ما يؤكل وما لا يؤكل من الحيوان، وكتاب لغة، فهو يضبط الأسماء، وكتاب أدب، فهو يسرد الأخبار، وكتاب طبيعة، فهو يشير إلى بعض خصائص الحيوانات، وكتاب تاريخ، فهو يلخص فيه مراحل طويلة من تاريخنا، وهو على ذلك كله مملوء بالخرافات والأوهام والأباطيل، وما يدخل العقل وما لا يدخله وما يفسده ويعطله. (ذكريات – 7ص326)

كتاب "الحيوان"

للجاحظ، فوجدت فيه تلك الألوان كلها، ولكن الذي فيه أعلى وأغلى، وحسبك أنه من تصنيف الجاحظ. (ذكريات – 7ص326

الموطأ

- على جلالة قدره، وعظيم أثره، كتاب حديث وفقه، والكتب الستة التي ألفها محمد بن الحسن في الفقه الخالص، وقد قرأها عليه الإمام الشافعي، كما قرأها وألف المدونة التي هي عماد المذهب المالكي على أسلوبها أسد بن الفرات، وإن نسبت إلى سحنون لأنه عدل فيها وبدل شيئاً منها. (ذكريات – 7ص246)

كتاب تاريخ الخلفاء للسيوطي

- وهو من الكتب التي أولعت بها من صغري، وأعدت قراءته أكثر من عشرين مرة. (ذكريات – 7ص332)

كتاب "رنات المثالث والمثاني في روايات الأغاني"

- أخذت ، وجعلت كل واحد منهم يقرأ منه فقرة، فإذا قرأ قراءة صحيحة لم أعرض له، وإذا لحن لحنة قومتها له، وشرحت شرحاً موجزاً، هو أشبه بالإيماء والإشارة، القاعدة التي يعتمد التصحيح عليها، وكنا في كل مجلس

نعمد إلى باب من أبواب النحو لا نجاوزه، واستمررنا على ذلك نحواً من سنة، قالوا إنهم استفادوا فيها، أكثر مما استفادوا في السنين الماضيات.

واتفقت مرة مع صديق لنا كان أقوى من عرفت من الطلاب في اللغة الفرنسية، حتى أنه يدرس أو كان يدرس إلى عهد قريب (ولست أعرف هل مات أم هو حي)، الأدب الفرنسي في إحدى جامعات فرنسا، وأحسبها جامعة ليون، هو الدكتور أنور حاتم، الذي صار يوماً الأمين العام لرئاسة الجمهورية. اتفقنا على أن أعلمه العربية وأن يعلمني الفرنسية، فكنا نأخذ من كل لغة أسهل الطرق إلى الوصول إلى الصواب فيها.
واتبعت ذلك فيما بعد، فإذا أردت أن أرشد التلاميذ إلى معرفة الفاعل، أقول لهم من فعل؟ فالجواب هو الفاعل. فإذا قلنا أحب زيد عمراً، أقول من الذي أحب؟ فيقولون: زيد، فأقول: إن زيد هو الفاعل، ثم أسأل: من الذي أحبه زيد؟ فيكون الجواب: عمرو، فيكون لفظ عمرو هو المفعول به.
ولو أن هذه الطريقة عممت واستفدنا مما وصلت إليه الأمم من غيرنا في تدريس لغاتها، وطبقناه على تدريس لغتنا لكن من ذلك نفع كبير. (ذكريات – 6ص261/260)